سورة العصر
دراسة تحليلية

د. أحمد عبد الكريم عبد الرحمن
قسم التفسير ـ كلية أصول الدين

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على المبعوث رحمةً للعالمين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ومن سار على منهجه إلى يوم الدين، وبعد:

فإن كتاب الله هو حبله المتين أنزله الله ليكون هُدى ورحمةً للناس وشِرعة ومنهاجاً إلى يوم الدين، وإن أفضل ما يقدمه المسلم في حياته وخير ما يسعى إليه خدمة هذا الكتاب العظيم، وقد أدرك سلفنا الصالح ذلك فشمروا سواعدهم، وأفنوا زهرة شبابهم في خدمة هذا الكتاب تفسيراً وتأويلاً وتمحيصاً حتى لا تكاد تجد عالماً من علمائهم في أي مجال كان اختصاصه إلا وله مؤلف في علوم القرآن.

وقد أملى علي منهجي أن تكون الدراسة موزعة على مبحثين وخاتمة غير هذه المقدمة التي اشتملت فيها:

المبحث الأول حيث جاء على خمسة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالسورة.

المطلب الثاني: اسم السورة وسبب التسمية.

المطلب الثالث: مكية أم مدنية.

المطلب الرابع: سبب النزول.

المطلب الخامس: أهداف السورة ومحورها.

أما المبحث الثاني فيحتوي أيضاً على خمسة مطالب:

المطلب الأول: فضل السورة.

المطلب الثاني: بلاغة السورة.

المطلب الثالث: إعراب السورة.

المطلب الرابع: معاني المفردات والمعنى الإجمالي.

المطلب الخامس: هداية الآيات والفوائد المستنبطة.

أما الخاتمة فقد أودعتها أهم النتائج التي توصلت إليها في بحثي هذا وبعدها وضعت قائمة بأسماء المصادر والمراجع.

وسيظل القرآن الكريم المعجزة الخالية التي لا تنقضي عجائبها ﴿الواقعة الحديد المجادلة الحشر الممتحنة الصف الجمعة المنافقون﴾[1]، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

[1] سورة البقرة: من الآية ٢٨٦.

المبحث الأول

التعريف بالسورة

إن آيها ثلاث آيات، وهي إحدى سور ثلاث هن أقصر السور في عدد الآيات: هي، والكوثر، وسورة الإخلاص ، وقد عدت الثالثة عشر في عداد نزول السور نزلت بعد سورة الانشراح وقبل العاديات[١].

المطلب الأول– التعريف بها:

لقد ورد تعريف سورة العصر في الكثير من كتب التفسير، ومن أبرز هذه التعريفات هي[٢]:

العصر: الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم من خير وشر، فأقسم تعالى بذلك على أن الإنسان لفي خسر، أي في خسارة وهلاك ﴿ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم ﴿ٱلرَّحِيمِ صدق الله﴾ وهو أداء الطاعات، وترك المحرمات ﴿العظيم ﴾ أي على المصائب والأقدار وأذى من يؤذي ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر.

---

[١] التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٣٠/ ٥٢٧.

[٢] بتصرف: القرآن العظيم لابن كثير، ٤/ ٥٥٠– ٥٥١.

وقيل: أقسم تعالى بالدهر والزمان لما فيه من أصناف الغرائب والعجائب، والعبر والعظات، على أن الإنسان في خسران؛ لأنه يفضل العاجلة على الآجلة، ويغلب عليه الأهواء والشهوات، وقيل أيضاً: العصر هو آخر ساعات النهار، أقسم به كما أقسم بالضحى لما فيهما من دلائل القدرة الباهرة، والعظة البالغة، وإنما أقسم تعالى بالزمان لأنه رأس عمر الإنسان، فكل لحظة تمضي فإنها من عمرك ونقص من أجلك [١].

المطلب الثاني– اسم السورة وسبب التسمية:

لقد ورد اسم سورة العصر في مصاحف كثيرة وفي معظم كتب التفسير وكذلك هي في مصحف عتيق بالخط الكوفي في المصاحف القيروانية في القرن الخامس.

وسميت في بعض كتب التفسير وفي صحيح البخاري (سورة العصر) بإثبات الواو على حكاية أول كلمة فيها، أي سورة هذه الكلمة[٢]. وقال بعض العلماء: العصر بكرة، والعصر عشية، وهما الأبردان[٣]، وقيل: العصر هي الصلاة الوسطى، أقسم الله تعالى بها[٤].

---

[١] بتصرف: بحر العلوم للسمرقندي، ٣٠/ ٥٠٩، البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، ١٠/ ٥٣٨، صفوة التفاسير للصابوني، ٣/ ٦٠٠– ٦٠١.

[٢] بتصرف: التحرير والتنوير لابن عاشور، ٣٠/ ٥٢٧.

[٣] في اللسان: البردان والأبردان: الظل والفيء، سميا بذلك لبردهما، وهما العصران، وقيل: هما الغداة والعشي، وقيل ظلالهما . ٣/ ٢٦.

[٤] المحرر الوجيز لابن عطية، ١٥/ ٥٦٤.

أما سبب التسمية: كرَّمَ سبحانه وتعالى صلاة العصر فسمى إحدى سور القرآن الكريم (العصر) لفضلها وقال عز من قائل في آياته الكريمة الأولى: ﴿بِسْمِ﴾ أي أقسم سبحانه بصلاة العصر لفضلها، أو: وحق صلاة العصر فحذف المضاف المقسم به (صلاة) وأقيم المضاف إليه (العصر) اختصاراً لأنه معلوم ولفضله بدليل قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ﴾[١]، أي وصلاة العصر، وقيل: قد يكون القسم بعصر النبوة أو بالدهر لاشتماله على الأعاجيب لأن (العصر) مرادف الدهر[٢].

المطلب الثالث– مكية أم مدنية:

هي مكية في قول الجمهور وإطلاق جمهور المفسرين، وفي قول ابن عباس وابن الزبير[٣].

ومدنية في قول مجاهد وقتادة ومقاتل، لما قال فيما قبلها: ﴿سُورَةُ الفَاتِحَةِ﴾[٤]، ووقع التهديد بتكرار ﴿الأنعام الأعراف الأنفال التوبة﴾[٥]، بين حال المؤمن والكافر[٦].

---

[١] البقرة: ٢٣٨.

[٢] بتصرف: بلاغة القرآن للشيخلي، ١٠/ ٦٩٩.

[٣] بتصرف: التحرير والتنوير لابن عاشور، ٣٠/ ٥٢٧، وصفوة التفاسير للصابوني، ٣/ ٦٠٠.

[٤] التكاثر: ١.

[٥] التكاثر: ٣.

[٦] ينظر: البحر المحيط لأبي حيان، ١٠/ ٥٣٨، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل، ٢٠/ ٤٨٣.

المطلب الرابع– سبب النزول

ورد في كتب التفسير سببان لنزول سورة العصر وفيما يلي هذه الأسباب:

روي عن ابن عباس ﷺ أن أبا بكر لما أسلم قالوا: خسرت يا أبا بكر حين تركت دين أبيك فقال أبو بكر: ليست الخسارة في قبول الحق إنما الخسارة في عبادة الأوثان التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنكم فنزل جبريل ﷺ بهذه السورة[١].

وفي رواية أخرى قال مقاتل: نزلت في أبي لهب، وفي خبر مرفوع أنه أبو جهل، وروي أن هؤلاء كانوا يقولون: إن محمداً لفي خسر، فأقسم تعالى أن الأمر بالضد مما يتوهمون[٢].

وعند نزول هذه السورة ذُكر أن عمرو بن العاص وفد على مسيلمة الكذاب وذلك بعدما بعث رسول الله ﷺ وقبل أن يسلم عمرو فقال له مسيلمة: ماذا أنزل على صاحبكم في هذه المدة؟ فقال له: أنزل عليه سورة وجيزة بليغة، فقال: وما هي؟ فقال: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ ﴾ ففكر مسيلمة هنيهة، ثم قال: وقد أنزل علي مثلها، فقال له عمرو: وما هي؟ فقال: يا وبر يا وبر إنما أنت أذنان وصدر وسترك حفر نقر. ثم قال: كيف ترى يا عمرو؟ فقال له عمرو: والله إنك لتعلم أني أعلم إنك تكذب. والوبر دويبة تشبه

[١] بحر العلوم للسمرقندي، ؟؟؟/ ٥٠٨.

[٢] التفسير الكبير للرازي، ١٦/ ٨٢.

الهر أعظم شيء فيه أذناه وصدره وباقيه دميم فأراد مسيلمة أن يركب من هذا الهذيان ما يعارض به القرآن، فلم يرج ذلك على عابد الأوثان في ذلك الزمان[١].

المطلب الخامس– أهداف السورة ومحورها:

وردت عدة أهداف في سورة العصر سأذكرها بالتفصيل فيما يلي[٢]:

١. يهدف القسم بأنه زمن يذكر بعظيم قدرة الله تعالى في خلق العالم وأحواله، وبأمور عظيمة مباركة مثل الصلاة المخصوصة أو عصر معين مبارك.

٢. تهدف هذه السورة بأن وقت العصر تذكير بحكمة نظام المجتمع الإنساني وما ألهم الله في غريزته من دأب على العمل ونظام لابتدائه وانقطاعه وفيه يتحفز الناس للإقبال على بيوتهم لمبيتهم والتأنس بأهليهم وأولادهم.

وهو من النعمة أو النعيم، وفيه إيماء إلى التذكير بمثل الحياة حين تدنو آجال الناس بعد مضي أطوار الشباب والاكتهال والهرم.

٣. تهدف إلى الربح المجازي، أي حسن عاقبة أمره، لمن آمن وعمل صالحاً، لكي لا يلحق به الخسران بحال إذا لم يترك شيئاً من الصالحات بارتكاب أضدادها وهي السيئات.

٤. والصبر يهدف إلى منع المرء نفسه من تحصيل ما يشتهيه أو من محاولة تحصيله إن كان صعب الحصول فيترك محاولة تحصيله لخوف ضرّ ينشأ

---

[١] تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٤/ ٥٥٠.

[٢] بتصرف: التحرير والتنوير لابن عاشور: ٣٠/ ٥٢٨– ٥٣٣، وظلال القرآن لسيد قطب، ٦/ ٣٩٦٨.

عن تناوله كخوف غضب الله أو عقاب ولاة الأمور أو لرغبة في حصول نفع منه كالصبر على مشقة الجهاد والحج رغبة في الثواب والصبر على الأعمال الشاقة رغبة في تحصيل مال أو سمعة أو نحو ذلك.

٥. تهدف على إقامة المصالح الدينية كلها، فالعقائد الإسلامية والأخلاق الدينية مندرجة في الحق، والأعمال الصالحة وتجنب السيئات مندرجة في الصبر.

محورها:

إن سورة العصر تتحدث عن المفلحين وبتفصيل، إذ تبدأ بالقسم على أن جنس الإنسان في خسر إلا من اتصف بصفات أربع: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر. فهي تفصيل للتقوى ولأخلاق المتقين الذين وصفهم الله عز وجل بالفلاح، وكل ذلك داخل في الإيمان والعمل الصالح، فالقرآن حق يجب التواصي به، والقرآن أمر بالصبر، فسورة العصر أبرزت أن مما يدخل في الاهتداء بكتاب الله عز وجل التواصي بالحق والتواصي بالصبر، فهي تفصيل للآيات الخمس الأولى من مقدمة سورة البقرة، لكنه تفصيل جديد فيه تحديد وفيه بيان[١].

واشتمل محورها على إثبات الخسران الشديد لأهل الشرك ومن كان مثلهم من أهل الكفر بالإسلام بعد أن بلغت دعوته، وكذلك من تقلد أعمال الباطل التي حذر الإسلام المسلمين منها. وعلى إثبات نجاة وفوز الذين آمنوا وعملوا

[١] ينظر: الأساس في التفسير لسعيد حوى، ١١/ ٦٦٦٨.

الصالحات والداعين منهم إلى الحق وعلى فضيلة الصبر على تزكية النفس ودعوة الحق[١].

المبحث الثاني

التفسير والفضائل والبلاغة

المطلب الأول– فضل السورة:

[١] ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور: ٣٠/ ٥٢٧– ٥٢٨.

ذكرت في كتب التفسير جملة من النصوص المروية عن الرسول الكريم ﷺ في فضل سورة العصر، وفيما يأتي بيان ذلك:

أحدهما: أنه تعالى أقسم بصلاة العصر لفضلها بدليل قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ﴾[١]، صلاة العصر في مصحف حفصة، وقيل في قوله تعالى: ﴿الْإِسْرَاءِ الْكَهْفِ مَرْيَمَ طٰهٰ الْأَنْبِيَاءِ الْحَجِّ﴾[٢]، أنها صلاة العصر.

ثانيهما: قوله عليه الصلاة والسلام: **أمن فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله**[٣].

ثالثهما: أن التكليف في أدائها أشق لتهافت الناس في تجارتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعايشتهم.

رابعهما: روي أن امرأة كانت تصيح في سكك المدينة وتقول: دلوني على النبي ﷺ، فرآها رسول الله ﷺ فسألها: **ماذا حدث؟** قالت: يا رسول الله إن زوجي غاب فزنيت فجاءني ولد في الزنا فألقيت الولد في دنٍّ من الخل حتى مات، ثم بعنا ذلك الخل فهل لي من توبة؟ فقال عليه الصلاة والسلام: **أما الزنا فعليك الرجم، أما قتل الولد فجزاؤه جهنم، وأما بيع الخل فقد ارتكبت كبيراً، لكن ظننت أنك تركت صلاة العصر.** ففي هذا الحديث إشارة إلى تفخيم أمر هذه الصلاة[٤].

---

[١] البقرة: ٢٣٨.

[٢] المائدة: ١٠٦.

[٣] بتصرف: بلاغة القرآن للشيخلي، ١٠/ ٧٠٠، الكشاف للزمخشري، ٤/ ٣٨٢.

[٤] ينظر: التفسير الكبير للرازي: ١٦/ ٨١– ٨٢.

خامسها: أن صلاة العصر بها يحصل ختم طاعات النهار فهي كالتوبة بها يتم الأعمال، فكما تجب الوصية بالتوبة كذا بصلاة العصر لأن الأمور بخواتيمها، فأقسم بهذه الصلاة تفخيماً لشأنها، وزيادة توصية المكلف على أدائها وإشارة منه أنك إن أديتها على وجهها عاد خسرانك ربحاً، كما قال تعالى: ﴿ ﴾.

سادسها: قال النبي ﷺ: **أثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يكلمهم ولا يزكيهم** [عد] **منهم رجل حلف بعد العصر كاذباً أ**، (فإن قيل) صلاة العصر فعلنا، فكيف يجوز أن يقال أقسم الله تعالى به؟

والجواب: أنه قسماً من حيث أنها فعلنا، بل من حيث أنها أمر شريف تعبدنا الله تعالى بها[١].

[١] بتصرف: التحرير والتنوير لابن عاشور، ٣٠/ ٥٢٩، التفسير الكبير للرازي، ١٦/ ٨٢.

المطلب الثاني- بلاغة السورة:

تضمنت السورة الكريمة وجوهاً من البديع والبيان نوجزها فيما يلي[١]:

أولاً: إطلاق البعض وإرادة الكل ﴿الرَّحِيمِ بِسْمِ﴾ أي الناس بدليل الاستثناء.

ثانياً: التنكير للتعظيم ﴿ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ أي في خسر عظيم ودمار شديد.

ثالثاً: الإطناب بتكرار الفعل ﴿الرَّحِيمِ صدق الله العظيم ﴾ لإبراز كمال العناية به.

رابعاً: ذكر الخاص بعد العام ﴿العظيم ﴾ بعد قوله ﴿صدق الله﴾ فإن الصبر داخل في عموم الحق، إلا أنه أفرده بالذكر إشارة بفضيلة الصبر.

خامساً: السجع غير المتكلف مثل (العصر، الصبر، خسر)، وهو من المحسنات البديعية.

[١] صفوة التفاسير للصابوني، ٣/ ٦٠١.

المطلب الثالث– إعراب السورة:

تضمنت كتب التفسير إعراب آيات السور بالتفصيل وسأذكره فيما يأتي[١]:

- ﴿بِسْمِ﴾

والعصر: الواو واو القسم حرف جر. العصر: اسم مجرور بواو القسم وعلامة جره الكسرة، والجار والمجرور متعلق بفعل القسم المحذوف. أقسم بصلاة العصر لفضلها.

- ﴿الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

إن الإنسان: جواب القسم وهو حرف نصب وتوكيد مشبه بالفعل ولهذا كسرت همزتها لأنها واقعة في جواب القسم ووجود اللام في خبرها. الإنسان: اسمها منصوب وعلامة نصبه الفتحة.

لفي خسر: اللام لام التوكيد– المزحلقة–، في خسر: جار ومجرور متعلق بخبر (إن) أي لفي خسران. والجملة من أن مع اسمها وخبرها جواب قسم محذوف أو لا محل لها من الإعراب.

- ﴿﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم﴾.

إلا الذين: أداة استثناء، الذين اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مستثنى بإلا وهو استثناء متصل أنه مستثنى من (الإنسان) لأنه بمعنى

[١] إعراب المفصل لكتاب الله المرتل لـ(بهجت) لعبد الواحد الصالح، ١٢/ ٥٠٣– ٥٠٤.

(جمع) لأنه اسم جنس في معنى (الأناسي) و(الناس) والجملة الفعلية بعد صلته لا محل لها من الإعراب.

آمنوا: فعل ماضٍ مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل والألف فارقة. وأصله: أأمنوا والهمزة الأولى هي همزة أو ألف قطع والثانية أصلية– فاء الفعل– فلينوها كراهية للجمع بينهما، أي خاسر إلا الذين آمنوا بالله ورسوله.

وعملوا الصالحات: معطوفة بالواو على (آمنوا) وتعرب إعرابها.

الصالحات: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الكسرة بدلاً من الفتحة لأنه ملحق بجمع المؤنث السالم ولأن التاء فيها غير أصلية.

وتواصوا بالحق: تعرب إعراب (وعملوا) وعلامة بناء الفعل الضمة والفتحة المقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين وبقيت الفتحة الدالة عليها.

بالحق: جار ومجرور متعلق بتواصوا، أي: يوصي بعضهم بعضاً بالخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله.

وتواصوا بالصبر: معطوفة بالواو على (تواصوا بالحق) وتعرب إعرابها، أي: يوصي بعضهم بعضاً بالصبر على الطاعات وعن المعاصي وعلى ما يبلوا الله به عباده.

ولم أجد في كتب اللغة أو النحو إعراب آخر أو مخالف لهذا الإعراب[١].

[١] ينظر: بلاغة القرآن للشيخلي، ١٠/ ٧٠٠– ٧٠١، إعراب القرآن للدرويش، ٨٠/ ٤٠٢– ٤٠٣.

المطلب الرابع– معاني المفردات والمعنى الإجمالي

معاني المفردات:

العصر: أي الدهر كله[١].

إن الإنسان: أي جنس الإنسان كله.

لفي خُسر: أي في نقصان وخسران إذ حياته هي رأس ماله فإذا مات ولم يؤمن ولم يعمل صالحاً خسر كل الخسران.

وتواصوا بالحق: أي أوصى بعضهم بعضاً باعتقاد الحق وقوله والعمل به.

وتواصوا بالصبر: أي أوصى بعضهم بعضاً بالصبر على اعتقاد الحق وقوله والعمل به.

المعنى الإجمالي:

إن هذه الآيات الثلاثة تضمنت حكماً ومحكوماً به، فالحكم هو ما حكم به تعالى على الإنسان من النقصان والخسران، والمحكوم عليه هو الإنسان ابن آدم. والمحكوم به هو الخسران لمن لم يؤمن ويعمل صالحاً، والربح والنجاة من الخسران لمن آمنوا وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، فقوله تعالى: ﴿ بِسْمِ ﴾ هو قسم أقسم الله به.

والعصر هو الدهر كله ليلهُ ونهاره وصبحه ومساؤه، وجواب القسم لقوله تعالى ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ أي نقصان وهلكة وخسران أن يعيش

[١] أيسر التفاسير للجزائري، ٥/ ٦١٢.

في كبد ويموت إلى جهنم فيخسر كل شيء حتى نفسه التي بين جنبه وقوله تعالى: ﴿ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ ﴾ فهؤلاء استثناهم الله عز وجل من الخسر فهم رابحون غير خاسرين وبذلك دخولهم الجنة دار السعادة والمراد من الإيمان: الإيمان بالله ورسوله وما جاء به رسوله من الهدى ودين الحق والمراد من العمل الصالح الفرائض والسنن والنوافل.

وقوله: ﴿الرَّحِيمِ صدق الله﴾ أي باعتقاده وقوله والعمل به وذلك باتباع بالكتاب والسنة، وقوله: ﴿العظيم ﴾ أي أوصى بعضهم بعضاً بالحق اعتقاداً وقولاً وعملاً وبالصبر على ذلك حتى يموت أحدهم وهو يعتقد الحق ويقول به ويعمل بما جاء فيه، فالإسلام حق والكتاب حق والرسول حق فهم بذلك يؤمنون ويعملون ويتواصون بالثبات على ذلك حتى يموتوا[١].

[١] ينظر: جامع البيان، ٣٠/ ٢٨٩– ٢٩٠، التفسير الكبير للرازي، ١٦/ ٨١، أيسر التفاسير للجزائري، ٥/ ٦١٣.

المطلب الخامس– هداية الآيات والفوائد المستنبطة:

هداية الآيات:

١. فضيلة سورة العصر كاشتمالها على طريق النجاة في ثلاث آيات حتى قال الإمام الشافعي: لوما أنزل الله تعالى على خلقه حجة إلا هذه السورة لكفتهم.
٢. بيان مصير الإنسان الكافر وأنه الخسران التام.
٣. بيان فوز أهل الإيمان والعمل الصالح المجتنبين للشرك والمعاصي.
٤. وجوب التواصي بالحق والتواصي بالصبر بين المسلمين[١].

الفوائد المستنبطة:

إن الله عز وجل جعل الزمان أعلى وأشرف من المكان[٢]، فلما كان كذلك كان من القسم بالعصر قسماً بأشرف النصفين من ملك الله وملكوته، ويضيف الخسران إلى نوائب الدهر، فكأنه تعالى أقسم على أن الدهر والعصر نعمة حاصلة لا عيب فيها، إنما الخاسر المصيب هو الإنسان.

وأن الخسر الحقيقي هو حرمانه من خدمة ربه وأما البواقي وهو الحرمان عن الجنة، والوقوع في النار، وأن الإنسان لا ينفك عن الخسر؛ لأنه هو تضييع رأس المال، كما قال بعض السلف: تعلمت معنى السورة من بائع الثلج كان يصيح ويقول: ارحموا من يذوب رأس ماله، ارحموا من يذوب رأس ماله، فقال:

---

[١] أيسر التفاسير للجزائري، ٥/ ٦١٢.

[٢] بتصرف: التفسير الكبير للرازي، ١٦/ ٨١، ٨٣، ٨٥.

هذا معنى ﴿الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ يمر به العصر فيمضي عمره ولا يكتسب فإذا هو خاسره وذلك لأن كل ساعة تمر بالإنسان، فإن كانت مصروفة إلى المعصية فلا شك في الخسران.

وإن هذه الآية فيها وعيد شديد، ذلك لأنه تعالى حكم بالخسار على جميع الناس إلا من كان آتياً بهذه الأشياء الأربعة، وهي: الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، فدل ذلك على أن النجاة معلقة بمجموع هذه الأمور وأنه كان يلزم المكلف تحصيل ما يخص نفسه، فكذلك يلزمه في غيره أمور، منها الدعاء إلى الدين والنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يحب له ما يحب لنفسه، ثم كرر التواصي ليضمن الأولى بالدعاء إلى الله، والثاني الثبات عليه، والأول الأمر بالمعروف والثاني النهي عن المنكر، وعنه قوله: ﴿الْمُنَٰفِقُونَ الْمُنَٰفِقَٰتُ الْجُمُعَةِ الصَّفِّ الْمُمْتَحَنَةِ﴾[1]، واصبر، دلت الآية على أن الحق ثقيل، وأن المحسن تلازمه، فلذلك قرن به التواصي. وقال عز وجل: ﴿الرَّحِيمِ﴾ ولم يقل: ويتواصون، لئلا يقع أمراً بل الغرض مدحهم بما صدر عنهم في الماضي، وذلك يفيد رغبتهم في الثبات عليه في المستقبل.

[1] لقمان: ١٧.

الخاتمة

إن هذه السورة القصيرة ذات الآيات الثلاث منهج كامل للحياة البشرية كما يريدها الإسلام.

وتبرز معالم التصور الإيماني بحقيقته الكبيرة الشاملة في أوضح وأدق صورة. إنها تصنع الدستور الإسلامي كله في كلمات قصار. وتصف الأمة المسلمة: حقيقتها ووظيفتها، وفي آية واحدة وهي الآية الثالثة من السورة، وهذا هو الإعجاز الذي لا يقدر عليه إلا الله.

وجاءت هذه الآية في التنبيه على أن الأصل في الإنسان يكون في الخسران والخيبة، وتقريره أن سعادة الإنسان في حب الآخرة والإعراض عن الدنيا، ثم أن الأسباب الداعية إلى الآخرة خفية، والأسباب الداعية إلى حب الدنيا ظاهرة، وهي الحواس الخمس والشهوة والغضب، فلهذا السبب صار أكثر الخلق مشتغلين بحب الدنيا مستغرقين في طلبها.

فكانوا في الخسران والبوار، فهذا الخسران والضياع الذي تعانيه البشرية اليوم في كل مكان، والعماء عن ذلك الخير الكبير الذي حملته الأمة العربية للبشر يوم حملت راية الإسلام فكانت لها القيادة ثم وضعت هذه الراية فإذا هي في ذيل القافلة، وإذا القافلة كلها إلى الضياع والخسارة، وإذا الرايات كلها بعد ذلك للشيطان ليس فيها راية واحدة لله، وإذا هي كلها للباطل ليس فيها راية واحدة للحق. وإذا هي كلها للعماء والضلال ليس فيها راية واحدة للهدى والنور، وإذا هي كلها للخسار ليس فيها راية واحدة للفلاح! وراية الله ما تزال وأنها لترتقب اليد التي ترفعها والأمة التي تسير تحتها إلى الخير والهدى والصلاح والفلاح.

وإن أهم النتائج التي حصلت عليها من هذا البحث هي:

إن هذه السورة حاسمة في تحديد الطريق... إنه الخسر... ﴿ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم ﴾ ... طريق واحد لا يتعدد، طريق الإيمان والعمل الصالح وقيام الجماعة المسلمة، التي تتواصى بالحق وتتواصى بالصبر. وتقوم متضامنة على حراسة الحق مزودة بزاد الصبر. وإنه طريق واحد، ثم كان الرجلان من أصحاب الرسول ﷺ إذا التقيا لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر ثم يسلم أحدهما على الآخر.

والحقيقة الضخمة التي تقررها هذه السورة بمجموعها هي هذه: أنه على امتداد الزمان في جميع الأعصار، وامتداد الإنسان في جميع الأدهار، ليس هناك إلا منهج واحد رابح، وطريق واحد ناجح، هو ذلك المنهج الذي ترسم السورة حدوده، وهو هذه الطريق التي تصف السورة مطالعه، وكل ما وراء ذلك ضياع وخسار، إنه الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، وأقول تولي هذا وأن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد ﷺ.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

السنة النبوية.

١. الأساس في التفسير، لسعيد حوى، دار السلام للطباعة والنشر، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٢. إعراب القرآن الكريم وبيانه، لمحيي الدين الدرويش، المجلد الثامن، دار الإرشاد للشؤون الاجتماعية، حمص، ط٩، ٢٠٠٤م.

٣. إعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت٣٣٨هـ)، تحقيق: زهير غازي زاهر، ط١، ١٩٨٢م.

٤. إعراب المفصل لكتاب الله المرتل، لبهجت عبد الواحد صالح، المجلد ١٢، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠٠٧م.

٥. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر الجزائري، دار السلام، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٦. بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي (ت٣٧٥هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ علي بن محمد معوض، الشيخ عادل عبد الموجود، جامعة الأزهر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.

٧. البحر المحيط في التفسير، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي (٦٥٤هـ- ٧٤٥هـ)، تحقيق: الشيخ عرفات العشا حسونة، مطبعة دار الفكر، بيروت، طبعة جديدة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٨. بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز، بهجت عبد الواحد الشيخلي، مكتبة دنديس، المجلد العاشر، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
٩. التحرير والتنوير، للإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر والتوزيع، ١٩٧٨م.
١٠. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
١١. التفسير الكبير، الإمام فخر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
١٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأخيرة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
١٣. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
١٤. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط١، ١٩٧٢م، ط٣٤، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
١٥. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري (٤٦٧هـ/ ٥٣٨هـ)، طبعة في انتشارات أقتاب بطهران.
١٦. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي (ت٨٨٠هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

١٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: السيد عبد العال السيد إبراهيم، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.